د. عبد الرحمن بن صالح العشماوي

يا ساكنة القلب

شعر

العبيكان
Obeikan

© مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العشماوي، عبدالرحمن بن صالح

يا ساكنة القلب. / عبدالرحمن بن صالح العشماوي- ط٣ . -
الرياض، ١٤٢٨هـ.
٩٦ ص؛ ١٤×٢١ سم
ردمك: ٢ـ ٣٢٤ـ ٥٤ـ ٩٩٦٠

١ - الشعر العربي - السعودية ٢- الشعر الإسلامي
٣- الشعر الحر أ ـ العنوان
ديوي ٩٥٣١٠٩٤، ٨١١ ٤٢٢٨ / ١٤٢٨

رقم الإيداع: ٤٢٢٨ / ١٤٢٨
ردمـــــك: ٢ـ ٣٢٤ـ ٥٤ـ ٩٩٦٠

الطبعة الثالثة

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان للنشر
الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة
هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨
ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمـــز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان
الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة
هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩
ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمـــز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

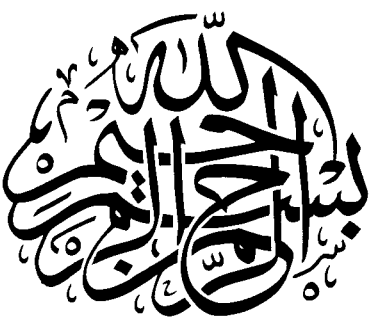

شعر التفعيلة

أخي القارىء، أختي القارئة...

ما كنت أريد أن أضع مقدمة لهذا الديوان، بل إن هذا الذي أكتبه هنا ليس مقدمةً، وإنما هو إيضاح وبيان...

وأود أن أقول للإخوة والأخوات الذين يعرفون الفرق بين «شعر التفعيلة» ومصطلح «الحداثة»: لا تعجبوا من طرحي القضية هنا، فإنما طرحتها لفئة من الأحبة القراء ما تزال لديهم شبهةٌ في هذا الأمر، أحببت أن أُسهم في إزالتها..

إن أسئلةً كبيرة قد وُجِّهت إليَّ، بعضها للاستيضاح، وبعضها للعتاب والإنكار، وهي أسئلة مختلفة في أسلوب طرحها، ولكنها يمكن أن تجمع في السؤال التالي:

«لماذا تكتب شعراً حداثياً»؟!.

ومع أن الموضوع واضح في أذهان المتخصصين، والمتابعين، إلا أنه يحتاج إلىٰ وقفة قصيرة لإلقاء الضوء على هذه الزاوية المعتمة في أذهان بعض القراء..

وأقول:

فرق كبير بين «الحداثة» مصطلحاً، و «شعر التفعيلة» نمطاً فنياً جديداً؛ لأن الحداثة منهج فكري ينطلق من قاعدة الرفض لكل قديم والتحرُّر من هيمنته، وهو منهج يمكن أن يعرضه حامله في قصيدة موزونة مقفاة، أو قصيدة تفعيلية، أو مقطوعة نثرية، أو قصة، أو رواية، أو مسرحية، أو غير ذلك من أساليب الأدب، ولو أن الحداثة مقصورة على قصيدة التفعيلة - كما يظن البعض - لصحَّ لنا أن نقول: إن كل قصيدة موزونة مقفَّاة سليمةُ المعنىٰ نزيهةُ الفكر حتىٰ وإن كان كاتبها من أكبر روَّاد الحداثة ومنظِّريها، وهذا ما لا يقول به عاقل!.. لقد كتب روَّاد الحداثة القصيدة الموزونة المقفاة، كما كتبوا القصيدة التفعيلية، ومايُسَمُّونه بالقصيدة النثرية، وطرحوا في ذلك كلِّه رُؤاهم الحداثيَّة المتمرِّدة على قيم الأمة وفكرها، فهل معنىٰ ذلك أنْ نرفض شعرهم التفعيليَّ ونقبل شعرهم الخليليَّ؟ هذا خَلْطٌ لا تقبله الموازين السليمة.

شعر التفعيلة أسلوب حديث في كتابة الشعر، له إيقاعه المستمَدُّ - غالباً - من تفعيلات بحور الشعر العربي المعروفة، وله صوره المنبثقةُ من رؤىٰ العصر الذي نعيش فيه، وفي نماذجه ما هو جيِّدٌ غاية الجودة، وفيها ما هو رديءٌ غاية

الرداءة، شأنه في ذلك شأن كل أسلوب أدبي أو فني، ولا أرىٰ أن هناك ما يمنع من الكتابة به، ما دمنا لم نفرِّط في أعمدة الشعر الثابتة: الإيقاع أو الوزن، والعاطفة الصادقة، والصورة الشعرية المؤثرة.

أما الحداثة فهي ذلك المنهج الفكري الذي يعلن دعاته التمرُّد على القيم الراسخة في حياة الأمة، تمرُّداً يظهر في جرأتهم «الممقوتة» على الرسالات السماوية والأنبياء والمصلحين، بل حتىٰ على الله ذي العزة والجلال... وشتان ما بين الأمرين...

ولا يعني إكثار بعض الحداثيين من الكتابة بشعر التفعيلة أنه وَقْفٌ عليهم - كلا - فإن منهم من يكتب شعراً خليلياً، وينفث فيه سموم حداثته...

إن الأسلوب التفعيلي وعاءٌ فني ينفث فيه كاتبه ما يعتنقه ويؤمن به.. فنرجو أن يتنبَّه من لديه شبهة من الإخوة والأخوات من القراء الكرام إلى هذا الأمر، شاكراً ومقدراً، ومعتذراً.

عبدالرحمن العشماوي

غِـبْ يا هلال

«طفلة متشرِّدة تخاطب هلال العيد»

غِبْ يا هلالْ
إنِّي أخافُ عليك من قهرِ الرِّجالْ
قِفْ من وراء الغيمِ
لا تنشرْ ضياءَك فوْق أعناقِ التِّلالْ
غِبْ ياهلالْ
إني لأخشىٰ أنْ يُصيبَكَ
- حين تلمحنا - الخَبَالْ
أنا - يا هلالْ ..
أنا طفلةٌ عربيةٌ فارقتُ أسْرتَنَا الكريمَهْ
لي قصةٌ
دمويَّةُ الأحداثِ باكيةٌ أليَمهْ
أنا - ياهلالْ ..
أنا مِن ضَحايا الاحتلالْ
أنا مَنْ وُلِدْتُ

الطائف ١٤٠٧/١٠/٥هـ

وفي فمي ثَدْيُ الهزيمَهْ !
شاهدتُ يوماً عنْدَ منزِلِنا كتيبَهْ
في يومِها
كانَ الظلامُ مكدَّساً
مِنْ حول قريتِنا الحبيبهْ
في يومِها
ساقَ الجنودُ أبي
وفي عيْنيه أنهارٌ حبيسَهْ
وتَجَمَّعتْ تِلْكَ الذئَابُ الغُبْرُ
فيْ طَلَبِ الفريسَهْ
ورأيتُ جنديّاً يحاصرُ جسمَ والدتي
بنظرتِه المُريبَهْ !
ما زلتُ أسْمعُ - ياهلالْ-
ما زلتُ أسمعُ صوتَ أمِّي
وهي تسْتجدي العروبَهْ
ما زلْتُ أبصرُ نَصْلَ خنجرِها الكريمْ
صانتْ به الشَرفَ العظيمْ
مسكينةٌ أمِّي

فقد ماتتْ ..
وما عَلِمَتْ بموْتتها العروبَهْ !
إنِّي لأَعجبُ يا هلالْ
يترنَّح المذياعُ من طربٍ
ويَنْتعِشُ القدحْ !
وتهيج موسيقىٰ المَرحْ !
والمطربون يردِّدون على مسامعنا
ترانيمَ الفرَحْ
وبرامج التلفاز تعرضُ لوحةً للْتهنئَهْ
«عيدٌ سعيدٌ يا صغارْ»
والطفلُ في لبنانَ يجهل مَنْشَأَهْ
وبراعمُ الأقصىٰ عرايا جائعونْ
والّلاجئونَ
يصارعوْنَ الأوْبَئهْ
غبْ يا هلالْ ..
قالوْا:
ستجلبُ نحوَنا العيدَ السعيدْ
عيدٌ سعيدْ ..؟!

والأرضُ ما زالتْ مبلَّلَةَ الثَّرى
بدمِ الشَّهيدْ ..!
والحربُ ملَّتْ نفسَها
وتقزَّزتْ ممَّن تُبيدْ ..!
عيدٌ سعيدٌ في قصورِ المترفينْ
عيدٌ شقيٌّ في خيام اللاجئينْ
هرمتْ خُطانا يا هلالْ
ومدى السعادةِ لم يزلْ عنّا بعيدْ
غِبْ يا هلالْ
لا تأتِ بالعيد السعيدِ
مع الأنينْ
أنا لا أريدُ العيدَ مقطوعَ الوتينْ
أتظنُ أنَّ العيدَ في حَلْوى
وأثوابٍ جديدَهْ ؟
أتظنُ أنَّ العيدَ تهنئةٌ
تُسَطَّر في جريدهْ ؟
غِبْ يا هلالْ
واطلعْ علينا حين يبتسمُ الزَّمَنْ

وتموتُ نيرانُ الفتَنْ
اطلعْ علينا
حين يُورقُ بابتسامتنا المساءْ
ويذوبُ في طرقاتنا ثَلْجُ الشِّتاءْ
اطلع علينا بالشذا
بالعزِّ بالنصرِ المبينْ
اطلع علينا بالْتئامِ الشَّملِ
بين المسلمينْ
هذا هو العيدُ السعيدْ
وسواهُ
ليس لنا بِعيْدْ
غِبْ يا هلال
حتىٰ ترىٰ رايات أمتنا ترفرفُ في شَمَمْ
فهناكَ عيدٌ
أيُّ عيدْ !
وهناك يبتسم الشقيُّ مع السعيدْ

♥♥♥

أنشودة القرية

سلي الوادي
سلي
أزهارَه النَّشوىٰ
سلي العصفورَ
حين يردِّدُ
الشدوا
سلي - إن شئتِ -
كِسْرَةَ خبزِنا السوداءَ
لذّتُها..
تُغيضُ المنَّ
والسلوىٰ

سلي
أزهارَ وادينا
أتاها الفجرُ
يفضحُ فوقَها

الطِّلا
ويُفصِحُ عن مفاتنها
فما أحلىٰ !
وما أغلىٰ !
سلي - إنْ شئتِ -
أفئدةً حملناها
ولم نحملْ بها حقداً
ولا غلاًّ

سلي
أغنامَنا سالتْ
بها طرقاتُ
وادينا
تسيرُ ونحن نتبعُها
وننضدُ من سعادتها
أمانينا
سلي
طرقاتِ قريتنا

سلي «العُثْرُبَ»
و«السنُّوتَ» و«الشِّيحا»
أما زالتْ على علمٍ
بماضينا ؟!
سلي الأمسا
عن البسمةِ
ما تعني ؟
لقد كانت شعاراً
يرفعُ الإخلاصُ
رايتَهُ
لقد كانت كنافذةٍ
يُطِلُّ القلبُ منها
يُنشِدُ الدنيا
سعادتَهُ
نراها - اليومَ -
باهتةً
تجودُ بها مطامعُنا
يقدِّمُها الفتىٰ حتىٰ

ينالَ - اليومَ -
غايتَهُ
سلي
الفجرَ الذي كنَّا
نسابقُه إلىٰ
الوادي
ونمزجُ نورَه الصافي
بألحانٍ سكبناها
تُغيضُ البلبلَ
الشادي
سلي
أيامَنا الأولىٰ
غَدَتْ ذكرىٰ تعذِّبنا
وكانتْ رمزَ
إسعادِ

♥♥♥

حنينٌ

في خواطرِنا
يسوقُ جراحَنا
دمعاً
تفيضُ به
مآقينا
تَغَلْغَلَ في مشاعرِنا
فلا نومٌ يداعبنا
تطيبُ به
لياليا
حنينٌ
لم يزلْ طفلاً
- برغمِ تعاقُبِ الأيَّامِ -
يرضَعُ من
أمانينا

♥♥♥

رحلنا
لم نكنْ ندري
بأنَّ البعدَ

يُؤْلِمنا
وما كنّا على علمٍ
بأنَّ طريقَنا
سيطولُ
مَنْ ذا كان
يُعْلِمُنا ؟
هي الأقدارُ
- آمنَّا بخالقِنا -
تُقَرِّبنا
وتُبْعِدُنا

رحلنا !
هكذا الدنيا
رحيلٌ
ليس ينقطعُ
فلا أحلامُنا
جاءتْ
ولا آلامُنا

تَدَعُ
تفرِّقُنا أمانينا
فنغدو خلفها
نسعىٰ
وعند اللهِ
نجتمعُ

صغيرتي «شذا»

تحت جُنْحِ الليلِ
والبدر يغنِّي والنجومْ
وعلى أطرافِ ما تبصره العينُ من الأُفْقِ
بداياتُ غيومْ
وعلى واجهةِ اللَّيلِ - شمالاً -..
نجمةٌ في لجَّةِ الليلِ تعومْ
وعلىٰ واجهةِ الليلِ - جنوباً - ..
أحرفٌ ينقشُها الصَّمتُ، وآثارُ رسومْ
كنتُ..
أستمطرُ أفكاري
وأستظهر سرَّ الخَطَراتْ
وأبثُّ الصوتَ في دائرةِ الصَّمْتِ
لأستجلبَ عطفَ الكلماتْ
كنتُ أستحلبُ في دوَّامةِ الإحساسِ
ثَدْيَ الذكرياتْ

الرياض ١٤١١/٥/١٥هـ

كنتُ أستوقفُ في قلبي
جموحَ النبضَاتْ
كنتُ..
وانشقَّ أمامي البابُ
عن وجهِ «شذا»
لا..
بل انشقَّ عن الطُّهْرِ وعن حبي الكبيرْ
عن روابي فرحتي
عن بسمةِ الثغرِ الصغيرْ
عن صفاءِ الشمسِ
من بعد انجلاءِ الغيمِ في اليوم المطيرْ !
عن غناء البلبل الشادي
وعن وشوشةِ الأغصانِ في سمع الغديرْ !
يا شذا..
واهتزَّ غُصْنٌ...
وعلى أهدابِها رَفْرَفَ عصفورُ القصيدهْ
يا شذا..
واقتربتْ مني أمانيَّ البعيدهْ

ياشذا..
وجهُكِ... ما هذا بوجهٍ
هذه لوحةُ طُهْرٍ ونقاءْ
لوحةٌ..
يا ليتها تُرفَعُ في الأُفْقِ
لكي تُبصرَها كلُّ النساءْ !
يا شذا...
يا نبعَ أحلامي ويا صفْوَ حياتي
يا نسيماً..
ينشرُ العطرَ ويُحيي بَسَماتي
يا شذا...
يا ديمةً تسقي غصونَ الكلماتِ
يا ربيعاً...
يُسْمِعُ الأزهارَ أحلىٰ النَّغَمَاتِ
يا شذا..
يا مقلةَ الحبِّ التي تُرسِلُ سحرَ النظراتِ
يا شذا..

يا طفلتي .. يا زَهْوَ أشواقي وحبي
يا شذا
يا منحةَ اللهِ التي تُسعِدُ قلبي
يا قناديلَ الرِّضا
تكشفُ ظلماءَ جراحي
وتمدُّ النورَ في سردابِ كَرْبي
يا شذا لو تعلمينْ..
ما طوى قلبُ أبيك الحرُّ
من حزنٍ دفينْ
من أزاهيرِ اشتياقٍ وحنينْ
من عذاباتِ جراحٍ وأنينْ
يا شذا لو تعلمين..
عالمُ اليومِ غريقٌ في محيطاتِ الشقاءْ
في الهوىٰ.. في غفوةِ الشَّهْمِ..
وصَحْوِ الأدعياءْ
عالمُ اليومِ يَدٌ تلطِمُ وجهَ الأتقياءْ !
وتصبُّ الخمر في أكواب تجَّارِ البِغَاءْ !
عالم اليوم يَدٌ تسرقُ خبزَ الفقراءْ !

وترشُّ العطَرَ في موطئ رِجْلِ الأغنياءْ !
عالمُ اليومِ..
فَمٌ يُنشِدُ ألحانَ ادِّعاءْ
يا شذا لو تعلمين..
آهِ لو تدرينَ عن ظلمِ الطُّغاةِ الغاشمينْ !
عن حكايات رصاصِ المعتدينْ
عن يد الشكِّ التي تخنقُ أنفاسَ اليقينْ
عن دموعِ الأبرياءِ الهاربينْ
عن بقايا دفترِ الطفلِ الذي مات على جنبِ اليمينْ
عن دموع الأمِّ..
تشكو تنتحبْ.
عن أبٍ يُفضي بقولٍ مضطربْ
عن أحابيلِ العدوِّ المغتصِبْ
يا شذا..
كم مقلةٍ نامتْ - كما نمتِ -
وقامتْ في ذهولْ
حينما داهمها جيشُ المغولْ !
حينما أبْصَرَتِ البدرَ على نعشِ الأفولْ

ورأتْ واجهةَ الفجرِ بلا بابٍ..
فلم تستقبلِ النورَ الحقولْ
حرَّم الليلُ على الفجرِ الدخولْ !
يا شذا ماذا أقولْ ؟
شرحُ هذا الأمر - يا بنتي - يطولْ
يا شذا لو تعلمينْ..
آهِ، لو .. أبصرتِ أطفال الكويتْ
آه، لو .. أبصرتِ آثار الأسىٰ في كلِّ بيتْ
آهِ..
لو أبصرتِ طفلاً في ربوعِ القدسِ يشكو غربتَهْ
وصغيراً في رُبىٰ كابولَ
يُلقي نظرتَهْ
ويُداري دمعتَهْ
لو رأيتِ المدفعَ الثرثارَ يُلقي خطبتَهْ
آهِ، لو أبصرتِ طفلاً
في حماةٍ وحَلَبْجَهْ
ودعاياتٍ عن التحريرِ فَجَّهْ
آهِ..

لو أبصرتِ أطفالَ (الفلبينَ) الضحايا
وجراحاً في (أريتريا) وصيحاتِ صبايا
يا شذا لو تعلمينْ ..
بالذي يجري شمالاً ويمينْ
بالذي يهدم أكواخَ المساكينِ
ويبني غُرَفاً للظالمينْ
يا شذا..
يانورَ عينيَّ ويا فرحةَ قلبي
نحن نخشىٰ..
حينما تلمسُ كفاكِ الحجرْ
أنْ نرىٰ في كفِّكِ الناعمِ
خَدْشاً أو أثرْ !
كيفَ..
لو أبصرتِ طفلاً
حين يرميه الجبانْ
برصاصٍ ودخانْ ؟!
كيف لو أبصرتِ طفلاً..
لم يذقْ - منذ رأىٰ دنياهُ -

طعماً للحنانْ ؟!
لم يذقْ إلا الأسىٰ المرَّ..
ولم يسمعْ سوىٰ صوتِ الطِّعانْ !
يا شذا..
يا رحلةَ الأشواقِ في حبلِ الوتينْ
يا ظِلالَ الحبِّ..
في قيظِ صحارىٰ التائهينْ
[يا شذا .. قولي معي:]
أيها العالمُ سُحْقاً..!
حينما تغدو حياةُ الناسِ ميدانَ رِهانْ
حينما يفتقد الطفلُ الأمانْ..
حينما..
يفتقد الطفلُ الأمانْ ..

جولة في قلب الطفلة «عهود»

الطفلة عهود بنت مساعد الغامدي الدبلوماسي السعودي الذي اغتالته أيدي الغدر في إحدىٰ سفارات المملكة.. كانت تتساءل مع أختيها: لماذا قتلوا أبي ؟

هزِّي غصونَكِ يا جذوعَ اللَّوْزِ
في وطني الحبيبْ
فلربَّما صار البعيدُ لنا قريبْ
ولربَّما غنَّتْ عصافيرُ الصفاءِ
وغرَّد القُمْريُّ..
وابتسمَ الكئيبْ
هزِّي غصونَكِ
وانثري في الأرضِ لوزَك يا جذوعْ
ودعي النَّسيمَ يُثيرُ أشجانَ الفروعْ
ودعي شموخَك يا جذوعَ اللَّوزِ
يهزَأُ بالخضوعْ
هزِّي غصونَكِ

الباحة ١/١١ / ١٤٠٨هـ

ربَّما سَمِعَ الزَّمانُ صدىٰ الحفيفْ
ولربَّما وصلَ الفقيرُ إلىٰ رغيفْ
ولربما لَثَمَ الرَّبيعُ فمَ الخريفْ !
هزِّي غصونَكِ
ربَّما بعثَ الصفاءُ إلىٰ مشاعرنا
بَريدَهْ
ولربَّما تتفيَّأُ الكلماتُ في دَرْبِ المنَىٰ
ظلَّ القصيدَهْ ..
أنا يا جذوعَ اللَّوزِ
أُغنيةٌ علىٰ ثغرِ اليقينْ
أنا طفلةٌ نظرتْ إلى الآفاقِ
رافعةَ الجبينْ
أنا من رُبا «المرزوقِ»
تعرفني ربوعُ «بني كبيرْ»
أملي يغرِّدُ يا جذوعَ اللوزِ
في قلبي الصغيرْ
وأبي الحبيبُ يكادُ بي
من فَرْطِ لهفتِه يطيرْ

أنا ياجذوعَ اللَّوزِ مَنْ صنعتْ لها المأساةُ
مركبةً صغيرَةْ
أنا مَنْ قدحْتُ علىٰ مَدَىٰ الأحلامِ
ذاكرةَ البصيرَةْ
لأرىٰ خيالَ أبي وكان رعيَّتي
وأنا الأميرَةْ
كم كنتُ أمشطُ رأسَهُ
وأجرُّ أطرافَ العمامَةْ
وأُريه من فرحي رُباً خُضْراً
ومن أملي غمامَةْ
كم كنتُ أصنع من تجهُّمهِ
إذا غضبَ، ابتسامَةْ !
أنا يا جذوعَ اللوزِ
بنتُ فقيدِ واجبهِ «مساعَدْ»
أنا مَنْ تدانىٰ الحزنُ من قلبي
وصبري عن حمىٰ قلبي
تَباعَدْ
أنا طفلةٌ تُدْعَىٰ «عهودْ»

أنا صرخةٌ للجرحِ
تلطم وجهَ مَنْ خانَ العهودْ
أنا بسمةٌ في ثغرِ هذا الكونِ
خالطها الألمْ !
صوتي يردِّد في شَمَمْ:
عفواً أبي الغالي، إذا أسرجْتُ
خَيْلَ الذكرياتْ
فهي التي تُدْنِي إلىٰ الأحياءِ
صورةَ مَنْ نأىٰ عنهم
ومات ْ !
عفواً..
إذا بلَغَتْ بيَ الكلماتُ حدَّ اليأْسِ
واحترقَ الأملْ
فأنا أرىٰ في وجه أَحلامي خَجَلْ !
وأنا أردِّدُ في وَجَلْ:
يا ويلَ عُبَّادِ الإمامةِ والإمامْ !
أوَ ما يصونون الذِّمامْ ؟!
كم روَّعوا من طفلةٍ مثلي

وكم قتلوا غُلاَمْ
ولكم جنوا باسم السلامِ
علىٰ قوانينِ السلامْ
يا ويلَ عُبَّادِ القبورْ !
هُمْ في فؤادِ الأمةِ الغرَّاءِ آلامٌ
وفي وجه الكرامةِ كالبثورْ !
هُمْ - يا أبي الغالي - قَذَىً في عين أُمَّتِنا
وضيقٌ في الصدورْ
يا ويلَ أربابِ الفتنْ !
كم أوقدوا ناراً وكم نسجوا كفَنْ
كم أنبتوا شوكاً علىٰ طرقاتِ أمتِنا
وكم قطعوا فَنَنْ
كنَّا نظنُّ بأنهم يدعون للإسلام حقاً يا أبي
فإذا بِهِمْ..
يدعون للبغضاءِ فينا والإحَنْ
عفواً أبي الغالي..
أراكَ تُشيحُ عني ناظرَيْكْ
وأنا التي نثرتْ خُطاها في دروب الشوقِ
ساعيةً إليكْ

أَلْبَسْتَنا ثوبَ الوقارْ
ورفعْتَ فَوْقَ رؤوسِنا تاجَ افتخارْ
إني لأطربُ حين أسمعُ مَنْ يقولْ:
هذا شهيدُ أمانتهْ
بَذَلَ الحياةَ صيانةً لكرامتهْ
أوَّاهُ لو أبصرتَ
زَهْوَ الدَّمعِ في أجفانِ غامدْ !
ورأيتَ - يا أبتاه - كيف يكونُ
إحساسُ الأماجدْ
أوَّاه لو أبصرتَ ما فعل الأسىٰ
ببني كبيرْ !
كلُّ القلوبِ بكتْ عليكَ
وأنت يا أبتي جديرْ !
أنا يا أبي الغالي «عهودْ»
أنسيتَ يا أبتي «عهودْ» ؟!
أنا طفلةٌ عزفَتْ على أوتارِ بسمتِها
ترانيم الفرحْ
رسمتْ جدائلُها لعين الشمسِ

خارطةَ المرَحْ
كم ليلةٍ أسرجتَ لي فيها قناديلَ ابتسامتِكَ الحبيبهْ
فصفا فؤادي وانشرحْ
أختايَ يا أبتي وأمِّي الغاليَهْ
يسألْنَ عنك رحابَ قريتِنا
وصوتَ الساقيَهْ
أرَحلتَ يا أبتي الحبيبْ ؟
كلُّ النجومِ تسابقتْ نحوي
تزفُّ ليَ العزاءْ !
والبَدْرُ مدَّ إليَّ كفّاً من ضياءْ
والليل هزَّ ثيابَهُ..
فانهلَّ من أطرافها حزنُ المساءْ
تتساءل «المرزوقُ» يا أبتي الحبيبْ:
ما بالُ عينِ الشمسِ ترمقنا
بأجفانِ الغروبْ ؟
وإلىٰ متىٰ تمتدُّ رحلتُك الطويلةُ يا أبي
ومتىٰ تَؤوبْ ؟!
وإلىٰ متىٰ تجتثُّ فرحتَنا

أعاصيرُ الخطوبْ ؟
هذا لسانُ الطَّلِّ يُنشِدُ للرُّبا
لحنَ البكاءْ !
هذي سواقي الماءِ في واحاتِ قريتِنا
على جَنَباتها انتحر الغُثَاءْ !
هذا المساءْ
يُفضي إلىٰ آفاقِ قريتنا
بأسرار الشَّقَاءْ
يتساءل الرُّمَّانُ يا أبتي
وداليةُ العنبْ
والخوخُ والتفَّاحُ يسألُ
والرُّطبْ
وزهورُ وادينا تشاركُ في السُّؤَالْ
ويَضِجُّ وادينا بأسئلةٍ
تنمُّ عن انفعالْ
ماذا أصاب حبيبَنا الغالي «مساعدَ»
كيف غابْ ؟!
ومتىٰ تحرَّكتِ الذئابْ ؟!

ومتىٰ اختفىٰ صوتُ البلابلِ
وانتشىٰ صوتُ الغرابْ ؟
يا ويحَ قلبي من سؤالٍ
لا أُطيق له جوابْ
مازلتُ - يا أبتي - أصارعُ حسرتي
وأسدُّ ساقيةَ الدموعْ
أهوىٰ رجوعَكَ يا أبي الغالي
ولكنْ...
لا رجوعْ !
إنْ مُتَّ يا أبتي
وفارقتَ الوجودْ
فالموتُ فاتحةُ الخلودْ
ما مُتَّ في دربِ الخيانةِ والخنَىٰ
بل متَّ صَوْناً للعهودْ
يا حُزْنُ..
لا تثبتْ على قدمٍ
ولا تهجرْ فؤادْ
فأنا أراكَ لفرحتي الكبرىٰ امتدادْ !

إنْ ماتَ - يا حزني - أبي
فاللّهُ حيٌّ لا يموتْ
اللّهُ حيٌّ لا يموتْ.

ألا أيُّها الجبل الشَّهْمُ..

حوارٌ مع جبل «حمى ظبيان» الذي يحتضن قرية عَراء، مسقط الرأس، صورةٌ مزدوجة في إطارٍ من الذكريات، صورةٌ من مشاعر الرجل الذي تجاوز الثلاثين نحو مراتع صباه.

سلامٌ عليكْ
أيا أيُّها الجبلُ الشَّهْمُ..
يا مَن تتوقُ السهولُ إليكْ
تقبِّلُ في رهبةٍ قدميكْ
سلامٌ عليكْ
ألا أيُّها الجبلُ الشَّهْمُ..
يا من توالتْ عليكَ السنينُ..
أمَا أثقلتْ كاهليكْ ؟
أمَا أرهقتْكَ الغيومُ التي..
طالما حجبتْ ناظريكْ ؟
أما هزمتْكَ جيوشُ الضبابِ التي..
طالما اكتنفتْ جانبيكْ ؟

قرية الباحة، عراء ١٤١١/٧/٢٠هـ

سلامٌ عليكَ
أتذكرني أيُّها الجبلُ الشَّهْمُ..
تذكر وجهي ولونَ ثيابي ؟
أتذكر خوفي إذا ما صعدتُ إليكَ
وطولَ اضطرابي ؟
أتذكر طفلاً صغيراً..
يعلِّمُك القفزَ فوق الهضابِ ؟
أتذكره حين كان يجيءُ إليكَ..
ليُمْسِكَ ذيلَ السَّحابِ ؟
ليُمْسِكَ أطرافَ قوسِ الغَمامِ
وأطرافَ ثوبِ الضَّبابِ؟!
ألا أيُّها الجبلُ الشَّهْمُ..
يا من تدوسُ برجليكَ ظهرَ الشِّعابِ
أتذكر طفلاً صغيراً صغيرا ؟
أتذكرُ..
وجهاً بريئاً وقلباً طَهورا ؟
أتذكر جسماً نحيلاً قصيرا ؟
أتذكر عينين نضَّاختيْنِ

ودمعاً غزيرا ؟

أتذكر بيتاً صغيرا ؟

أتذكره مُسْنِداً - أيُّها الجبلُ الشهمُ - ظهراً على نصفِ ساقِكَ..

يبدو أمامك كوخاً حقيرا ؟

أتذكر طفلاً صغيرا ؟

أتذكره..

حين كان يسير أمامَكَ وقتَ الصبَّاح إلىٰ المدرَسةْ؟

أتذكر خبزتَه اليابسَةْ ؟

أتذكر نظرةَ أستاذِه العابسَةْ ؟

أتذكر فرحتَه حينما تنتهي الحصَّةُ السادسَةْ ؟

أتذكر طفلاً صغيرا ؟

أتذكره..

حين كان يَلُفُّ على رأسِه «غُتْرَتَهْ» ؟

يُصَعِّد فيكَ - على حَذَرٍ - نظرتَهْ ؟

أمَا كنتَ تُبصِرُ في وجهِهِ..

رهبتَهْ؟!

أمَا كنتَ تلمح في ناظريه - إذا ما دَنَا -..

عَبْرَتَهْ ؟

ترىٰ أُمَّهُ إخوتَهْ
جدَّه جدَّتَهْ
خاله خالتَهْ؟!
أمَا كنتَ تُبصرهم...
حين كانوا يلاقون بؤسَ الحياةِ..
بصبرٍ عجيبِ؟
أمَا كنتَ تسمعهم يُخلصون الدُّعاءَ
لربٍّ مجيبِ ؟!
أيا أيُّها الجبل الشَّهْمُ ماذا دهاكْ ؟!
أراك تُوسِّعُ دائرةَ الصمتِ..
ماذا اعتراك؟!
دعوتُك..
هلاَ أجَبْتَ محبّاً دعاكْ؟!
ألستَ ترىٰ - أيُّها الجبلُ الشَّهْمُ - ..
أنَّ لنا ذكرياتٍ هنا ماثِلَهْ؟!
هنا..
كنتُ أفطرُ حين يغنِّي الصبَّاحُ..
وكانتْ هنا القائلَهْ

وكُنَّا نُنيخ هنا الراحلَهْ
وكانتْ - هنا - تلتقي العائلَهْ
سَلِ الطَّلْحَ والتينَ واللَّوْزَةَ الذَّابلَهْ
سَلِ الحجرَ الصَّلْدَ
والصخرةَ الهائلَهْ
ألا أيُّها الجبلُ الشَّهْمُ ماذا دهاكْ ؟!
تُراك نسيتَ الذي كان من أمرنا ؟!
نسيتَ سِنِيَّ الطفولةِ من عمرنا ؟!
أشيخوخةٌ داهمتْكَ ..؟
وما كنتُ أعهدُ أنَّ الجبالَ تشيخُ !
أضعفُ أصابكَ..؟
كيف - بربِّكَ - يضعُفُ هذا الشموخُ؟!
هنا..
حرَّك الجبلُ الشَّهمُ بعضَ غصونِ الشجَرْ
ودحرجَ في لجَّةِ الصمتِ..
ألف حَجَرْ
وقام يغسِّلُ أهدابَه بضياءِ القمرْ
وظلَّ يراقبني في ذهولْ

ومدَّ ذراعَ المهابةِ نحوي
وراح يقولْ:
نعم أذكرُ الطفلَ..
أذكر أشواقَه الغامرَهْ
وأحلامَه الحائرهْ
وأذكر مقلتَه الساهرَهْ
نعم أذكر الطفلَ...
أذكره حين كان مع السانيَهْ
وأذكره حين.. يحمل مسْحَاتَهُ..
يَصْرِفُ الماءَ في الساقيَهْ
وأذكره..
حين يصنعُ مَنْسَبةً للطيورِ..
ويحلُمُ بالضربةِ القاضيَهْ !
نعم أذكر الطفلَ يَرْعَىٰ..
علىٰ هذه الرابيَهْ
وأذكره..
حين كان يُدَندِنُ حوليْ ببعضِ الأناشيدِ..
أذكرُ بسمتَه الصافيَهْ

وأذكرُ بعضَ العباراتِ..
أذكر ترنيمةَ القافيَهْ
نعم أذكر الطفلَ..
أذكر إخوتَه، أمَّه الغاليَهْ
وأذكر قصتَه الباكيَهْ
نعم أذكر الطفلَ..
أذكر قريتَه الوادعَهْ
وأذكر صوتَ المؤذِّنِ يسكبُ تكبيرَهُ في الشِّعابِ..
وأذكر شمسَ الضحى الساطعَهْ
وأذكر لَوْزَ الحِمَىٰ...
والثِّمارَ المباركَةَ اليانعَهْ
نعم أذكر الطفلَ..
أذكر أغنامَه الراتعَهْ
وأذكر قوسَ الغَمامِ ولونَ السَّماءِ إذا ما انجلىٰ الغَيْمُ..
وانسابَ نهرُ الأصيلْ
وأذكر رائحةَ الهَيْلِ في قهوةِ الصُّبْحِ..
والزَّنجبيلْ
وأذكر عَزْفَ حفيفِ الغصونِ

وشَدْوَ النسيم العليلْ
نعم أذكرُ الطفلَ..
مَنْ أنتَ حتى تُلِحَّ وتسألَ هذا السؤالْ ؟!
وكيف أتيتَ..
ورُحتَ تسائلُني دونَ تلك الجبالْ ؟!
وكيف فَتَحْتَ نوافذَ ذكرايَ..
أطلقتَ هذاالخيالْ ؟!
وكيف فتحتَ لأحزانِ قلبيْ المجالْ ؟!
وأضحكْت مني الرُّبىٰ والتِّلالْ ؟!
رويدَك - يا أيُّها الجبلُ الشَّهْمُ - ..
لستُ غريبا
حبيبٌ يزور حبيبا
أُحِسُّ لأشواقِ قلبيْ دبيبا
أتيتُكَ أحمل جُرْحاً وأبغي طبيبا
أتيتُكَ أحملُ همَّ الملايينِ..
أشكو الأسىٰ والخطوبا
أتيتُكَ أُطفيءُ هذا اللهيبا
أسلِّي الفؤادَ الكئيبا

رويدَك - يا أيُّها الجبلُ الشَّهْمُ - ..
لستُ غريبا
أنا ذلك الطفلُ..
كنتُ صغيراً.. وصرتُ كبيرا
أنا ذلك الطفلُ ما كنتُ أملكُ..
إلا الحصيرا
وأصبحتُ أملك داراً..
فراشاً وَثيرا
وأصبحتُ أكتبُ شعراً..
ويطفحُ قلبي شعورا
أرىٰ أمتي - أيُّها الجبلُ الشَّهْمُ - ..
تُرسلُ طرفاً كسيرا
وتذرفُ دمعاً غزيرا
أنا اليومَ أقسِمُ جسر الثلاثينَ نِصْفَينِ..
أسلُكُ درباً عسيرا
أتيتُك أبحثُ عن ظلِّ نفسي
وبين ثيابِك عن وجهِ أمسي
أتيتُكَ..

أغرسُ في راحتيك الأماني
وأبحث عمّا طواه زماني
أتيتُكَ..
أبحثُ عن خُطُواتي
وعن زَفَراتي
وفوق هضابِكَ عن قَفَزاتي
أتيتُكَ أبحثُ عن بعضِ ما نَسِيَتْ ذكرياتي
ألا أيُّها الجبلُ الشَّهْمُ..
لستُ غريبا
رحلتُ وأغنيةُ الفجرِ تُشجي الدروبا
وجئتُك والشمسُ تنوي الغروبا
تُراكَ عرفتَ
وأدركتَ سرِّي ؟!
تُراكَ تبيَّنْتَ رحلةَ عمري ؟!
تُراكَ تذكّرتَني يوم كنتُ أعاونُ جَدِّي
تذكَّرْتَ هَزْلي وجِدِّي ؟!
تذكَّرْتَ وجهَ الطموحِ..
ولونَ التحدِّي؟!

ألا أيُّها الجبلُ الشَّهْمُ..
هلاّ نظرتَ إلى الصورتينْ ؟!
وحاولتَ أنْ تقرأَ المقلتينْ
وأن تلمسَ الدمعتينْ
وأنْ تعرفَ السرَّ - يا أيُّها الجبلُ الشَّهْمُ - ..
في البسمتينْ
وأنْ تتأمَّلَ منزلةَ الطفلِ..
في الحالتينْ ؟!
هنا سمعتْ أذنايَ نداءً فريدا
شعرتُ بأنيْ ملكتُ الوجودا
وأن الزُّهورَ استحالتْ أمامي شهودا
وأن الصخورَ استقامتْ سدودا
سمعتُ نداءً قريباً بعيدا:
أيا رجلَ اليوم..
يا طفلَ أمسِ
رأيتُك ما بين وحشةِ قلبي وأُنسي
فدارتْ بذكرايَ رأسي
وأحسسْتُ أني أخاطبُ نفسي

أيا رجلَ اليومِ
يا طفلَ أمسِ
فتحتَ نوافذَ جرحٍ عميقْ
ومهَّدْتَ للحَسَراتِ الطريقْ
وأوقَفْتني عند بابِ المضيقْ
وأشعلْتَ في جانبيَّ الحريقْ !
أيا رجلَ اليومِ، يا طفلَ أمسِ
ألستَ ترىٰ فاصلاً بين ماضٍ وحاضرْ ؟!
ألستَ تشاهدُ..
كيف تموتُ الضمائرْ ؟!
وتعمى البصائرْ ؟!
وكيف تُباعُ المشاعرْ ؟!
وكيف يذلُّ الحليمُ ويعلو المكابرْ؟!
وكيف تُراقُ الدِّماءُ..
ويُهتَك عرضُ الحرائرْ ؟!
ألستَ تشاهدُ..
كيف تسوءُ المناظرْ؟!
بلىٰ - أيُّها الجبلُ الشَّهْمُ -..

إني أشاهدْ
وأفتح للجرحِ بابَ القصائدْ
بلىٰ..
إنني قد رأيتْ
وإني بنارِ الأنينِ اصطليتْ
ومن أجلِ هذا أتيتْ
وأكثرتُ من ذكر «ليتْ» !
ألا ليتَ قريَتنا الغاليَهْ
تعودُ لحالتها الماضيَهْ
تنامُ بُعَيْدَ صلاةِ العشاءْ
وتصحو قُبَيْلَ انبثاقِ الضياءْ
تنامُ..
وفي شفتيها دعاءْ
وتصحو..
وفي شفتيها دعاءْ
ويُطربُها حين ينبثقُ الفجرُ، صوتُ الرُّغاءْ
وصوتُ الثُّغاءْ
وصوتُ العصافيرِ تُنشِدُ عَذْبَ الغناءْ

ألا ليت قريتَنا ترجعُ - اليومَ -
نحو الوراءْ
وتحضنني اليومَ كالأمسِ..
تمسحُ عن مقلتيَّ العَناءْ
وتَنفُضُ عني غبارَ الشَّقاءْ
وتُبعدني عن حضارةِ عصرِ الفضاءْ
وعصرِ التسلُّطِ والكبرياءْ
حضارةِ هدمِ القيمْ
وتمزيقِ شملِ الأممْ
حضارةِ فَتْحِ نوافذِ بيتِ الغنيِّ..
وإغلاقِ بابِ الفقيرِ، وتزويرِ حِبْرِ القلمْ !
ألا ليتَ ..!، لو أنَّ ليت تحقِّق ما نشتهي
ولو أنَّ دَرْبَ الأسىٰ ينتهي
هنا..
أغمضَ الجبلُ الشهمُ مقلتَه الباكيَهْ
ومسَّح أدمعَه الجاريَهْ
وأسمعني لهجةً قاسيَهْ:
لماذا أتيتَ إليَّ تُثيرُ شجوني؟!

وتبعثُ بعد الهدوءِ أنيني؟!
لماذا تحاصرني من جميعِ جهاتي؟
لماذا اقتلعتَ هدوئي
وألقيتَني في لظىٰ حسراتي؟
لماذا أتيتَ..
تنغِّصُ صَفْوَ حياتي ؟!
رويدَك - يا أيُّها الجبلُ الشَّهْمُ - لستُ غريبا
حبيبٌ يزور حبيبا
لأني أحبُّكَ جئتُ إليكْ
أفتشُ عن راحتي في مدىٰ ناظريكْ
لأني أحبُّكَ حبّاً كبيرا
أتيتُك أسقيكَ دمعاً غزيرا
وأنسى أمامك بعضَ جراحي
وأصبح عندكَ طفلاً صغيرا
كما كنتُ من قبلُ
طفلاً صغيرا !

يا ساكنة القلب

بين عينيكِ قطوفٌ دانيَهْ
وغصونٌ ترسمُ الظلَّ..
على أطرافِ ثوبِ الرابيَهْ
أنتِ..
ما أنتِ سوىٰ الغيثِ الذي يغسلُ وجهَ الداليَهْ !
أنتِ..
ما أنتِ سوىٰ اللحنِ الذي يرسُم ثغرَ القافيَهْ !
أنتِ لفظٌ واحدٌ في لغةِ الشوقِ محدَّدْ
أنتِ لفظٌ بارزٌ..
من كلِّ أصنافِ الزياداتِ مجرَّدْ
أنتِ للشعرِ نَغَمْ
أنتِ فجرٌ..
يفرشُ النورَ على دربِ القَلَمْ
أنتِ.. ما أنتِ ؟
شذاً.. نَفْحُ خُزامىٰ يملأُ النفسَ رضاً

الرياض ١٤١١/٩/٦هـ

يمحو الألمْ

أنتِ - يا ساكنة القلب - لماذا تهجرينْ ؟!

ولماذا تسرقين الأملَ المشرقَ من قلبي

وعني تهربينْ ؟

ولماذا تسكتينْ ؟

ولماذا تُغمدينَ السيفَ في القلبِ الذي تمتلكينْ ؟!

ولماذا تُطلقين السَّهْمَ نحوي ؟

سهمُكِ القاتلُ لا يقتلني وحدي..

فهل تنتحرينْ ؟!

مؤلمٌ هذا السؤالُ المرُّ..

نارٌ في قلوبِ العاشقينْ

فلماذا تهجرينْ ؟!

أنتِ..

من أنتِ ؟

يَدٌ تفتحُ بابَ العافيَهْ

راحةٌ تمسحُ عيني الباكيَهْ

وأنا..

طفلٌ علىٰ بابِ الأمانيْ ينتظرْ

شاعرٌ يشربُ كأسَ الحزنِ
يدعو يصطبرْ
أنا نَهْرُ الأملِ الجاريْ الذي لا ينحسرْ
لم أحرِّكْ مقلةَ اليأسِ
ولم أنظرْ بطرفٍ منكسرْ
أنا - يا ساكنةَ القلبِ - الذي لا تجهلينْ
شاعرٌ يمسحُ بالحبِّ...
دموعَ البائسينْ
شاعرٌ يفتحُ في الصحراءِ درباً..
للحيارىٰ التّائهينْ
أنا - ياساكنةَ القلبِ - الذي يفهمُ ما تعني الإشارَهْ
أنا مَنْ لا يجعلُ الحبَّ تجارَهْ !
أنا مَنْ لا يعبدُ المالَ..
ولا يرضىٰ بأن يخلعَ للمالِ إزارَهْ !
أنا مَنْ لا يبتني في موقعِ الذِّلَّة دارَهْ !
أنا مَنْ لا يلبسُ الثوبَ لكي يُخفي انكسارَهْ
أنا..
مَنْ لا يُنكر الودَّ

ولا يحرقُ أوراقَ العهودْ
ما لأشواقي حدودْ !
لهفتي تبدأُ من أعماقِ قلبي
وإلىٰ قلبي تعودْ
راكضٌ ..
والأملُ الباسمُ يطوي صفحةَ الكونِ
ويجتازُ السدودْ
راكضٌ..
أَتْبَعُ ظلِّي..
وأدوس الظلَّ أحياناً..
وأحياناً أرىٰ ظلِّي ورائي
تابعاً، يمنح إصراري الوَقُودْ
لم أصلْ بَعْدُ..
ولم ألمسْ يدَ الشمسِ
ولم أسمعْ تسابيحَ الرُّعودْ
راكضٌ..
ما زلتُ أستشرفُ ما بعد الوجودْ
لم أزلْ أبحثُ عن حُوْرٍ..

وعن مجلسِ أُنْسٍ بين جنَّاتِ الخلودْ
لم أزلْ أهُرب من عصري الذي يحرُق كفَّيهِ..
ويرضىٰ بالقيودْ
أنا - يا ساكنةَ القلب - فتىً يهفو
إلىٰ ربٍّ وَدودْ
لا تقولي: أنتَ مَنْ؟
ولماذا تكتبُ الشعرَ
وعمَّنْ..
ولمنْ ؟!
أنا كالطائرِ يحتاجُ إلى عشٍّ على كفٍّ فَنَنْ
حُلُمي يمتدُّ من مكَّةَ..
يجتازُ حدودَ الأرضِ
يجتازُ الزَّمَنْ
حُلُمي يكسرُ جغرافيَّةَ الأرضِ التي ترسُمُ حدَّاً للوطنْ
حُلُمي..
أكبرُ من آفاقِ هذا العصرِ
من صوتِ الطواغيتِ الذي يُشْعِلُ نيرانَ الفتنْ
حُلُمُ المسلمِ - يا ساكنةَ القلبِ -

كتابُ اللهِ، والسُّنَّةُ، والحقُّ الذي..
يهدِمُ جدرانَ الإحَنْ
أتقولين: لماذا أكتبُ الشعرَ .. وعمَّنْ .. ولمنْ ؟
أكتبُ الشعرَ لعصرٍ هَجَرَ الخيرَ وللشرِّ احتضنْ
أكتبُ الشعرَ لعصرٍ كرِه العدلَ وبالظلمِ افتتنْ
أكتبُ الشعرَ لأنَّ الشعرَ من قلبي..
وقلبي فيه حبٌ وشَجَنْ ..!

تساؤلات طفلٍ كويتي

ما جرىٰ يا أبتاهْ ؟
ولماذا امتشقَ الليلُ حسامَ الرُّعبِ
وارتجَّتْ على البابِ خُطاهْ ؟!
ولماذا جاءنا الفجر كئيباً..
ينقشُ المأساةَ في كلِّ الجباهْ ؟!
ولماذا أخرسَ الرَّشاشُ والمدفعُ أصواتَ الشُّداهْ ؟!
ولماذا احتبسَ الدَّمْعُ...
ولم تحتملِ النُّطْقَ الشِّفاهْ ؟!
ماجرىٰ يا أبتاه ؟
حولنا دبَّابةٌ تجري وأشباحُ غُزاهْ
ورصيفٌ يذرِفُ الدمعَ على بُؤْسِ المُشَاهْ
ورصاصٌ وأحابيلُ طُغاهْ
جارُنا الطيِّبُ أردَوْه قتيلاً
وأبو سعدٍ تَلاهْ !
وأخي الأكبرُ ما عاد إلىٰ الدارِ

الباحة ١٤١١/١/٢٤هـ

وما عُدْنا نراهْ !

النداءاتُ التي نبعثها لا تُستجابْ

والأمانيْ أصبحتْ طَيْفَ سرابْ

والمغيرون يصبُّون على أجسادنا سَوْطَ عذابْ !

ألفُ جنديٍّ أمام الدارِ والدارُ خرابْ

ألفُ جنديٍّ !.. فماذا يطلبونْ ؟!

ولماذا صوَّبوا أسلحةَ الموتِ إلينا

ولماذا يقتلونْ ؟!

ولماذا يا أبي لا يرحمونْ..؟

ولماذا سرقوا لقمةَ عيشي..

نهبوا كلَّ ثيابي

هدموا مدرستي يا أبتاهْ

سرقوا اللُّعبةَ من كفي، وأقلامي، وحبري، وكتابي ؟!

ولماذا يا أبي.. لم يرحموا ضعفي وخوفي واكتئابي ؟!

عجباً يا أبتاه ..!

كيف جاءتنا اليهودْ ؟

ومتىْ ساروا إلينا عبروا كلَّ الحدودْ ؟

هدموا كلَّ السدودْ..؟

كيف جاءتنا اليهودْ ؟

أين قومي من بني يَعْرُبَ..
أين المسلمونْ ؟!
ويحهم كيف ينامون ويصحو المعتدونْ ؟!
ولماذا تركوا الأعداءَ يأتون إلينا.. يقتلونْ ؟
ولماذا تركوهم يسلبونْ ؟
أتُرىٰ قومي أُصيبوا بالجنون ؟!
هكذا يا أبتاه ..!
هكذا في ساعةٍ يجتاحُنا جيشُ اليهودْ
كيف مرُّوا بحدودِ الشامِ والأردنِّ واجتازوا العراقْ
وأتونا يُشعلون الحزنَ في أعماقِنا..
يزرعون الرعبَ في أوطاننا؟!.
كان صوتُ الأبِ مخنوقاً
وكان الدمعُ يجري
والأسىٰ القاتلُ في خافقِه المجروحِ يسري
لا تسلْني يا بُنيّ..
لا تسلني وتأمَّلْ مقلتيّ
وتأمَّلْ هذه الرَّعشةَ تسري في يَديّ
وتأمَّلْ لهَبَ النارِ الذي يبدأُ من قلبي لظىً

وجفافاً ينتهي في شفتيْ
لا تسلني يا بُنيْ
فالذين اقتحموا حائطَ داري
والذين انتهكوا حرمةَ جاري
عربٌ يا ولدي ليسوا يهودا !!
عربٌ من جنسنا جاؤوا إلينا
نقضوا - في عَتْمَةِ الليل -العهودا
عربٌ يا ولدي ليسوا يهودا
نحن بالأمس منحناهم ورودا
وهم اليومَ يمدون يدَ الشكرِ لنا
لم تكنْ تحملُ أيديهم ورودا
إنما تحملُ نيراناً ورعباً وقيودا
سكتَ الطفلُ قليلاً ثم قالْ:
أيُّ جيش يا أبي هذا الذي أحْدَثَ في الصفِّ انشقاقْ ؟
كان كالسَّهمِ سؤالُ الابْنِ في صدرِ أبيه..!
إنّه يا ولدي جيشُ العراقْ..!!
لملم الطفلُ ثيابَهْ
وسَرَتْ في قلبِه الطاهرِ نيرانُ الكآبَهْ

عندما توغل الأشواق

عندما مسَّحتِ الشمسُ بقايا النومِ
عن أجفانها
وشدا الفجرُ بأنغامِ الضياءْ
وتناغىٰ صوتُ عصفورٍ
وصوتُ الساقيَهْ
وسرىٰ في أُذُنِ الوادي نداءُ الراعيَهْ
عندما اهتزَّت روابي الشِّعبِ
وارتدَّ الصَّدَىٰ
عندما حرَّكَ شوقَ الزَّهرِ تقبيلُ النَّدَىٰ
عندما غرَّد عصفورٌ وأغضى جَفْنُ زهرَهْ
وانتشىٰ قلبُ سحابَهْ.. فغدتْ تسكبُ غيثاً
قطرةً تلثم قَطْرَهْ
مثلما يسكب قلبُ الشاعرِ الفَذِّ نشيداً
فكرةً ترفدُ فكرهْ
عندما تبتسم القريةُ في وجهِ الصبَّاحْ
عندما تستنشق الواحاتُ ريحاناً وشيحاً وأقاحْ

عندما تقرأ في وجه الطريقِ الرَّحْبِ آثارَ القطيعْ
وأمام الدارِ طفلٌ ينكُثُ الأرضَ..
وفي الداخل أصواتُ رضيعْ
وعلىٰ بوَّابةِ المسجدِ شيخٌ
مدَّ رجليه إلىٰ الشمسِ وأَرْخَىٰ حاجبيهْ
يذكرُ اللّٰهَ فترنو نظراتُ الأفُقِ الرَّحْبِ إلَيهْ
عندما تلمحُ أمّاً تحفظُ الزَّوجَ ولا ترضىٰ المهانَهْ
وأباً يسعىٰ..
ليبني برضا اللّٰه كيانَهْ
عندما سافرَ شعري في مدىٰ الشوقِ البعيدْ
وامتطىٰ ظهرَ حصانِ الشوقِ..
يبني ويَشيدْ
عندها...
أوغَلَتِ الأشواقُ في قلبي
وصار الحبُّ يجري في دمي
عندها..
أصبح إحساسي نشيداً في فمي
عندها.. ردَّد قلبي في حنينْ

آهِ.. ما أجملَ هذا الكونَ..
لو أنَّ بني آدمَ ساروا في يقينْ ..!
آهِ .. ما أجمل هذا الكونَ لو أنَّا تركنا صفةَ الطِّينِ
وطِرْنا للسماءْ
وغرسْنا شجرَ الإخلاصِ في أرضِ العطاءْ
ومضينا في ركابِ الأنبياءْ ..!

قراءةٌ في وجهِ لطيفة اليمنيَّة

«لطيفة» صبيّةٌ يمنية، وردةٌ متفتحةٌ في روابي «ذَمَار»، نجَتْ من الموت بعد مرضٍ ألمَّ بها، وطار أبوها فرحاً، وعادت السعادةُ إلىٰ أسرتها من جديد، لكنّ لطيفة الزهرة، أصبحت - فيما بعد - لطيفة الشهيدة، بعد زلزال «ذَمَار»، وَوُلدتْ الحسرةُ في قلب أبيها من جديد.

اللَّيلُ يحتضنُ الرُّبىٰ
والصمتُ ينسجُ من خيوطِ الوَهْمِ حَوْلي..
مثلَ بيتِ العنكبوتِ
وأنا..
ألفُّ ردائيَ اليمنيَّ
أبحثُ فيهِ عن دِفْءِ المبيتِ
وصغيرتي..
تختالُ في الأُفُقِ البعيدِ
علىٰ بساطٍ من حريرِ
وأسيرُ نحو خيالها

الرياض ١٤٠٣/٣/٧هـ

وأظلُّ أعثرُ في مَسيري
ويغوصُ صوتي في الفضاءِ الرَّحْبِ:
«مهلاً يا لطيفَهْ»
وتردِّدُ الآفاقُ صوتيَ :
«يا لطيفهْ»
ولطيفتي ترمي إليَّ بنظرةٍ
وتُصيبُ قلبي !
أبُنيَّتي..
ما كنتُ أعهدُ فيكِ هذي الكبرياءْ
منْ أين يا محبوبتي
هذا الجَناحُ ؟
وكيفَ طِرْتِ إلى السَّماءْ؟!
وتغوصُ في الأفُقِ البعيدِ..
وتختفي عن ناظِريْ
وتذوبُ نفسي حسرةً
ويكادُ يقفز خاطريْ
أَبُنيَّتي..
هذا أبوكِ يلوكُ غُربتَه ويبكي ..!

عَشِقَ المتاعبَ يا «لطيفَةُ»
كي يَصُدَّ الفقرَ عنكِ ..!
وظَلَلْتُ أغرقُ في خيالاتي
أقطِّعُ ليلتي
وسألتُ عنكِ
ولا مجيبْ..
ومخاوفي تقسو على قلبي
وتشكو النفسُ..
من شبحٍ مُريبْ..
وفتحتُ نافذةَ الخيالِ
أذوبُ من شوقٍ إليكِ
كانت تُراودُني المخاوفُ
والظلامُ يزفُّها نحويْ
وكان يصدُّها عنِّيْ الرجاءْ
وشعرتُ..
أن خيالَكِ المحبوبَ يرمقني
بعينٍ دامعَهْ
ما كنتُ أعلمُ أنَّه

يوُحي بقُربِ الفاجعَهْ ..!
أبُنيَّتي..
قالوا: تركتِ لنا الحياهْ
قالوا:
صَنَعْتِ من الثَّرىٰ
مسكاً
وصُغْتِ من البكاءِ لهم قصيدهْ
وغَدَوْتِ
- يا لَهَفَ الفؤادِ عليكِ -
طفلتَنا الشهيدَهْ
قولي لهم: أنا ها هنا
لِمَ تكذبون على أبي؟
قولي لهم: هذي هنا لُعَبي
وهذا ملعبي
أنا لم أصدِّقْ يا لطيفةُ ما رواه الكاذبون
سأراكِ
حين أعودُ أحملُ في يديْ
أغلىٰ الهدايا

ستروىٰ حقولُ البنِّ فرحتَنا
وتحسدنا البرايا
لكنّني ما زِلْتُ أسألُ:
كيفَ طِرْتِ إلى السماءْ ؟!
عهدي بوجهكِ مثل «قمحِ ذمارَ»
يا محبوبتي
والآنَ
ألمحُه ضياءً تستقي منه النجومُ
وتذوبُ تحت شعاعِه الظَّلْماءُ
تندحرُ الغيومُ
ويجيءُ صوتُكِ يا لطيفَهْ
وتهزُّني في مقلتيكِ
رُؤَىً مخيفَهْ
أحسستُ حين سمعتُ صوتَكِ
أنَّ غربتَنا طويلَهْ
وعلمتُ أنَّ الموتَ حقٌّ
مالنا في الموتِ حيلَهْ
وتجلَّتِ المأساةُ..

أكبر يا لطيفةُ من كياني
وبكىٰ الفؤادُ..
وخانني دمعي
ولم ينطقْ لساني !
ونطقتِ ثانيةً وقلتِ:
مهلاً أبي
فأنا أراكْ
وأحسُّ في دربي خُطاكْ
وأحسُّ أنَّ يَديْ
تلامسُها يداكْ
حُمَّ القضاءُ
فمالنا في الأمرِ يا أبتي خيارْ
أرأيَت يا أبتي
«ذمار» ؟!
أرأيتَ يا أبتاهُ قريتَنا «رصابهْ» ؟!
رسَمَتْ على شفتيْ سؤالاً
لم أزلْ أخشىٰ جوابَهْ
أرأيتَ «رَحْبةَ» و«العليبْ» ؟!

أرأيتَ يا أبتي
«قبَاتِلَ» و«الخرابا» ؟!
أرأيتَ «بيتَ الزَّاف»
كيف غدتْ يَبابا ؟!
أرأيتَ كيف تردَّت «المحنابُ» يا أبتي و«غاورْ»(*) ؟!
أرأيتَ هذا الجزءَ من أرضِ اليمنْ
بالرغم من وديانهِ وجبالهِ ..
بالرغم من سكّانه الأبْطالِ
في عُرْفِ البشرْ
بالرغم من تلكَ السواعدِ..
أخضعتْ فيه الصخورا ..!
بالرغم من وقفاتهِ الشمَّاءِ يَلتهمُ الدُّهورا ..؟!
أرأيتَ كيف غدا كخُذروفِ الوليدِ
تهزُّه أيديْ الزلازلْ ؟!
وتضاءلتْ تلك الصخورُ
وكم شكتْ منها المعاولْ ..!
وتضاءَلَ الإنسانُ..

(*) ما ين القوسين أسماء بعض القرى التي ضربها الزلزال في «ذمار».

حتىٰ صار أضعفَ مَنْ يُقاتلْ ..!
أينَ السواعدُ يا أبي
أينَ الرجالُ الصامدون ..؟
همْ - مثلما كانوا - رجالٌ يا أبي
لكنَّهم لـمَّا يريدُ اللّٰهُ شيئاً
عاجزونْ !
الطفلُ صار بلا أبٍ
والأمُّ ودَّعَهَا البَنونْ
أين الرجالُ الصامدونْ ؟!
أذهانُنا غاباتُ أسئلةٍ
ولكنْ مَنْ يُجيبُ ؟
شربَ الضحايا كأسَهُمْ
والعائشونَ لهم نحيبُ !
كانتْ حقائبُنا تضيقُ
بما حَوَتْهُ من الدفاترْ
وأنا ألفُّ «المِعصَبَ» اليمنيَّ يا أبتي
وأمضي
وتضمُّنا في لهفةِ المشتاقِ

تلك المدرسَهْ
يرنو إلينا الفجر في غَدواتنا
ونروحُ ترمقُنا الظهيرهْ
وتَنَهَّدَ الزلزالُ
واستلقىٰ على أشلائنا
وتحوَّلتْ صرخاتُنا تحتَ الرُّكامِ إلىٰ أنينْ !
ما علّمونا في المدارسِ يا أبي
معنىٰ الزلازلْ
ما علّمونا كيف نهربُ
حين يَدْهَمُنا القضاءُ
الآنَ قد أدركتُ أن الكونَ لغزٌ يا أبي
واللّهُ يفعلُ ما يشاءُ
أدركتُ معنىٰ آيةٍ كنَّا نردِّدُها
بأصواتٍ رخيمَهْ
ونتيهُ عن أسمىٰ معانيها
بأذهانٍ سقيمَهْ
اللّه اقربُ - يا أبي - للناسِ..
من حبلِ الوريدِ

خُذْ - يا أبي - قلماً وسجِّلها
على أطلالِ قريتنا «رصابَهْ»
فلعلَّ بعضَ الناسِ يستجدي صوابَهْ
الآنَ قد أدركتُ..
سرَّ بكاءِ جارتِنا «حليمَهْ»
تلك العجوزُ المستقيمَهْ
أيّامَ كنتُ أُرتِّل القرآنَ
خَوْفَ الإمتحانِ
كانت تتابعني وتبكي
قد كنتُ أسألُ:
ما الذي يُبكي حليمَهْ
أأُثيرُ في أعماقها
ذكرى أليمَهْ؟!
الآنَ قد أدركتُ سرَّ نحيبِها
ورأيتُ نوراً يا أبي
يمحو ظلامَ دروبها
كانتْ - ولم تقرأْ ولم تكتُبْ -
أجلَّ تدبُّراً منّا وأسمىٰ

كانت ترىٰ ما لا نرىٰ..
فاعجبْ لذي عينين أعمىٰ !
لاتبتئسْ - أبتي- ولا تحزنْ عَليَّا
دنياكُمُ الحسناءُ في عينيْ قبيحَهْ
إني أراها اليومَ - يا أبتي -
بعينٍ غيرِ عينيْ
هي يا أبي، سجنٌ
وهذا الموتُ بابٌ للنجاهْ
ليستْ حياةً ..
إنَّها جسْرٌ يُوصِّل للحياهْ !

وجهُ ابتسامٍ.. وخارطة الألم

(ابتسام عبدالرحيم حبش) ستة عشر ربيعاً، يغتالها الصهاينة في بلدة (كفر حارث) (بفلسطين)

الليلُ يُغلقُ بابَ قريتنا
ويطردُ من وراءِ التَّلِّ آثارَ النَّهارْ
الليلُ يرسم لوحةً سوداءَ مظلمةَ الإطارْ
الليلُ ..! هذا الماردُ الجبَّارُ
يقتحم الدِّيارْ
الليلُ سجنٌ
لو درىٰ قومي بمعنى الليلِ في زمنِ الحصارْ
لو أدركوا معناهُ حين يزورُ قريتَنا الجريحَةْ
بعد قصفٍ وانفجارْ
لو أدركوا معناه حين أتىٰ
وكفُّ الموتِ ترسمُ بالدماءِ على بساطِ الأرضِ
خارطةً رهيبَةْ
لو أدركوا معناه حين أتىٰ
وقريتُنا تُشيِّعُ تحت نارِ القصفِ

راحلةً حبيبةْ
الليلُ.. لا..!
لا تسألوني عنهُ حين أتىٰ كئيبَ الوجهِ
في وقتِ المصيبةْ
لا تسألوني عنهُ
لكنْ عن أحبتِنا الذين مَضَوا
على دربِ الشهادَةْ.
عن «عامرٍ» عن أخته «ليلىٰ»
وعن طفلٍ يُقال له «هُمَامْ»
عمَّا رأتْ عيناىَ حين تعطَّرتْ آفاقُ قريتِنا
بأنفاسِ «ابتسامْ»
لـمَّا تحوَّلتِ الدماءُ بحيرةً..
وتضوَّعتْ بالمسكِ قريتُنا الحزينَةْ
لـمَّا أغارَ المعتدونْ
ويَدُ «ابتسامٍ» في فناءِ الدار ترقع ثوبَ والدِها المجاهدْ
هي لحظةٌ مرَّتْ تعدَّدت المواقفُ في مداها
والمشاهدْ
يَبِستْ يَدٌ، وجرى دَمٌ، وبكىٰ أبٌ حزناً

وأطفئتْ المواقدْ !

ماذا أرىٰ ؟!

ما بالُ حزني يستبدُّ بخاطري..

ويعودُ صبري القَهْقَرىٰ ؟!

ماذا أرىٰ ؟!

وَجْهُ ابتسامٍ ذلك الوَجْهُ المعفَّرُ بالثرىٰ ؟

أهدابُها..

تلك التي انطبقتْ فما عادتْ تَرىٰ ؟!

شَعْرُ «ابتسامٍ»..

أم حقولُ القمحِ في القدسِ الشريفِ..

وفي مشاتلِ «كفرِ حارثْ» ؟!

شَعْرُ «ابتسامٍ»..

أم غصونُ التينِ والزيتونِ

في تلك المغارسْ ؟

شَعْرُ ابتسامٍ في مهبِّ الرِّيح..

لم يظفرْ بفارسْ ؟!

شَعْرُ ابتسامٍ والسكونُ يلفُّ ما حولي..

فلا صوتٌ ولا هَمْسٌ لهامسْ ؟

وَجْهُ ابتسامٍ أم خيالُ الوَهْمِ..
يَرْسُمُه الرَّدى في عينِ واهمْ ؟!
أم أنَّه شبحٌ من الزمن البعيدِ...
يلوحُ في أهدابِ نائمْ؟!
وَجْهُ «ابتسامٍ» ما رأتْ عيناىَ
أم باقاتُ وردٍ في الكمائمْ؟!
شَعْرُ «ابتسامٍ»
أم خيوطٌ من ذهَبْ؟
تمتدُّ مثلَ أشعةِ الشمسِ الوليدةِ
تستحثُّ خُطَا العَرَبْ ؟!
شَعْرُ ابتسامٍ..
أم خيوطُ النارِ تنسجُ للأسى العربيِّ
أثوابَ اللَّهَبْ ؟!
شَعْرُ ابتسامٍ..
أم قُصاصاتٌ من الورقِ الذي..
يحوي القصائدَ والخُطَبْ ؟!
ووقفتُ..
يجري سيلُ أسئلتي ولم أفرحْ بسدٍّ من جَوَابْ.

وفؤادُ «أقصانا» يمزِّقُه العذابْ

وهناك في أرضِ الخليلِ أرىٰ شهيداً عنده أمٌّ

تردُّ عليه أطرافَ الثيابْ

وهناك..

في حيفا، ويافا، في ربوعِ القدسِ

تسرحُ في مرابِعِنا الذئابْ

ماذا أرىٰ ؟..

كلُّ الذين تشبَّثوا بالسِّلْمِ..

ما عرفوا طريقَهْ !

كلُّ الذين تحدَّثوا..

لم يكشفوا حُجُبَ الحقيقَهْ

لم يسمعوا صوتَ الغريقِ..

ولم يروا في البحرِ كيف تهاجرُ السفنُ الغريقَهْ !

ماذا أرىٰ؟..

أنا لا أرىٰ إلاَّ مؤامرةً تُحاكُ لأمتي..

باسم السلامْ !

أنا لا أرىٰ إلاَّ الطرابيشَ التي تهتزُّ..

في جنح الظلامْ !

كاهانَ، شاميرَ اللعينَ..
ووجهَ رابينَ الملطَّخَ بالجريمَهْ
أنا لا أرى إلاَّ المدامعَ بلَّلتْ ثوبَ اليتيمَهْ
أنا لا أرىٰ إلاَّ عدواً يجعلُ القرآنَ ممسحةً
ويركلُ كلَّ قيمَهْ.
أنا لا أرىٰ إلا بقايا أسرةٍ..
لاذتْ بزاويةٍ من الدارِ القديمَهْ
ويضيعُ في صَخَبِ الأسىٰ صَوْتُ «ابتسامٍ»..
لا مجيبَ ولا صدىٰ
وقذائفُ الأعداءِ تُنْشِدُ للضحايا في ربوعِ القدسِ..
أغنيةَ الرَّدَىٰ !
أنا لا أرىٰ إلا سؤالاً تائهاً ما زال يبحثُ..
عن جوابْ
ما بالُ قومي يصمتون ؟.
ما بالُهم يتراجعون إلى الوراءِ يُهَمْهِمُونْ ؟
ومن النوافذِ ينظرون؟
ما بالُهم يتعجَّبونَ كأنهم لا يفهمونْ ؟
يتثاءَب الحُرَّاسُ عند البابِ..

والفرسانُ في بحرِ اللذائذِ يغرقونْ..
تتعوَّذُ الفرشُ الوثيرةُ منهمو..
ويكاد يحرقُها المجونْ ..!
وإذا تحدَّثتِ المدافعُ - ويحَ قومي -
يهربونْ ..!
ما زال قومي ينظرونَ إلى تبجُّحِ غاصبٍ
وتكاتُفِ الأعداءِ في طرق السياسَهْ
ما زال قومي ينظرون إلىٰ قضيَّتِنا..
وفي الأذهانِ كرسيُّ الرئاسَهْ
والمعتدونَ يرتِّبون صفوفَهم...
لتُباع أمَّتُنا بأسواقِ النِّخاسَهْ
إني أقول - وألفُ أغنيةٍ تموتُ على فم الشادي الحزينْ -:
يا فارسَ الذُّلِّ المدجَّجَ بالسلاحْ
ما زلتَ تسْألُ..
كيف تُطلقُ من مسدَّسِكَ الرَّصاصَ..
وكيف تبتدئ الكفاحْ ؟!!
والمعتدونَ أمام وجهِكَ يُرسلون رصاصَهم مَطَراً..
وأرضُك تُستباحْ

إني أرىٰ ما لا ترىٰ..
طفلاً يكوِّنُ من ترابِ الأرضِ قنبلةً..
ويُشْعلُها وليس لها فتيلَهْ
إني أرىٰ شَعْرَ ابتسامٍ..
والجديلة تستريح إلىٰ الجديلَهْ
وتقولُ كلُّ جديلةٍ منها:
أنا الأوَلىٰ بتكفينِ القتيلَهْ !
إني لأسمعُ صوتَ قادمةٍ تقولْ:
لو أبصرَ الغافونَ من قومي اندحارَ قنابلِ الباغي..
إذا نَطَقَ الحجرْ
لو أبصروا خَجَلَ الرَّصاصِ إذا رأىٰ طِفْلاً صغيراً..
يمتطي ظهرَ الخطَرْ
لو أبصروا..
ما سيَّروا قلماً على ورقٍ
ولا رفعوا عَقيرةَ مؤتمرْ !
لو أبصروا لأتوا زرافاتٍ ووحداناً
وما تركوا لقاتلنا أثَرْ !

لك الرَّحمن يا سالم

[«سالم» شاب يقف على شرفة العشرين من العمر.. لقيته قبل أسابيع بعد غيابٍ طويل.. كانت عيناه تُشعَّان بالطموح... ووجهه يفيضُ بحيوية الشباب... قطع شوطاً في كلية الهندسة بالرياض... وبعد لحظات من لقائنا ودَّعتُه... وكان أملنا في اللقاء كبيراً... ومضت أسابيع.. وذهبت للقاء سالم.. ولكنه لقاء يختلف عن لقائنا الأول.. لقد كان سالم ممدَّداً على السرير الأبيض لا يعي من الحياة شيئاً.. كان في طريقه مع بعض أصدقائه لأداء العمرة... وكان الحادث المؤلم الذي جعل من سالم جسداً ملقىً على السرير.. ينتظر قضاء الله فيه... ولله الأمر من قبل ومن بعد]

الرياض ١٤٠٥/٧/١هـ.

طَوانا العمرُ يا سالمْ
ونحنُ..
نعانقُ الأحلامَ في نشوَهْ
ونحن نعاقرُ الدنيا
كؤوسَ الحقدِ والشَّهْوَهْ
ونجعلُ للمدىٰ صَهْوَهْ
ونمضي في صحارىٰ عمرِنا
نستعجلُ الخَطْوَهْ
طَوَانا العمرُ يا سالمْ
ونحنُ..
نخوض بحراً ما لَه مَرْسىٰ
أمانينا تطيرُ بنا
وتنسانا لياليا
وما ننسىٰ
ويهتزُّ السؤالُ أمامَ أعيننا:
متىٰ يستيقظُ النائمْ ؟
متىٰ نصحو؟
متىٰ يُلْقي عصا تسْيارهِ الهائمْ؟

طوانا العمرُ يا سالمْ
رأيُتكَ أمسِ
والدنيا على شفتيكَ أنغامُ
رأيتُك..
صافحتْ عيناىْ
طَلْعَةَ وجهِك الميمونِ يا سالمْ
رأيتُ الصدقَ..
يركضُ في مدىْ عينيكَ..
يلثم ثغرَك الباسمْ
رأيتُكَ أمسِ
والأيام حافلةٌ
بأشواقٍ وآمالِ
تضمُّ يداكَ بعضَ دفاترِ المستقبلِ الغالي
رأيتُكَ أمسِ
ما كنَّا على وعدٍ
ولو كنَّا
لَمَا وافىْ بنا وَعْدُ
رأيتُك والمنىْ تشدو

وقفْنا إذ تلاقينا
وكم يقفُ الفتىٰ تَعِباً
وتبقىٰ نفسُه بطموحِها تعدو !
رأيتُك أمسِ يا سالمْ
وكان لقاؤنا قَزْماً
إذا ما قِيسَ بالماضي الذي ولَّىٰ
وبالمستقبل الآتي
وقد يكبو الزمانُ بنا
ولا يأتي
رأيتُك أمسِ يا سالمْ
وكان الغيثُ يملأ أرضنا
خِصْبَا
وكان صباكَ يُلْقي بالزمامِ إليكَ
وَلْهانا
وكانتْ شمعةُ الأحلامِ مُوْقَدةً
وكان الفجرُ مسكوباً على شفتيكَ
ألحانا
وفي الوجدانِ

إخلاصاً وإيمانا
رأيتُكَ أمسِ يا سالمْ
وبابُ شبابِك الميمونِ مفتوحُ
وغصنُك ثابتٌ
ما كان يسترخي
إذا ما هبَّتِ الرِّيحُ
وألْقَيْنا..
همومَ القلبِ تحت سنابِكِ الفرْحَهْ
ووارىٰ كلُّ مجروحٍ
أمام صديقِه جُرْحَهْ
ولَمْلَمْنَا بقايا قوَّةٍ فينا
علىٰ بابِ المُنَىٰ المقفولِ
نَنْوي - خِلْسَةً - فَتْحَهْ
طوانا العمرُ يا سالمْ
ركبْنا لجَّةَ الأوهامِ والغَفْلَهْ
وكسَّرْنا المجاديفَ التي كنَّا
نخوضُ بها
وألْقَىٰ بحرُنا ثِقْلَهْ

رأينا الشاطئ الأقصىٰ
ولكنَّا
عَجَزنا أنْ نرىٰ أهْلَهْ
رأينا غُصنَنا يزهو
ولكنَّا
يَئِسْنا أنْ نرىٰ ظِلَّهْ
رأيتُك أمسِ يا سالمْ
يتوق الشاطئ الأقصىٰ
إلينا
ينتشي طَرَبَا
تَلُمُّ الأُفْقَ قَبْضَتُهُ
كأنَّ سماءَنا أَلْقَتْ
إليه ذيولَها سُحُبَا
وسال الغَيْثُ وانسكبا
وكان الشاطئ الأقصىٰ يناجينا
ينادينا
وكِدْنا أن نطيرَ إليهِ
مِنْ شوقٍ

ولكنَّ الغرورَ أَبَىٰ
رأيتُك أمسِ يا سالمْ
فطافتْ أَلْفُ خاطرةٍ
على ذهني
فخاطرةٌ تعذِّبني
وخاطرةٌ تسلِّيني
وخاطرةٌ تمزِّقني
وخاطرةٌ تُواسيني
وخاطرةٌ تقولُ:
أمامك الدنيا
رياضٌ خِصْبةٌ فانْهَلْ !
وخاطرةٌ تقولُ:
أمامك الدنيا بقاعٌ جَدْبَةٌ فاخجَلْ !
وخاطرةٌ تقولُ:
أقِمْ !
وخاطرةٌ تلفِّعني
وتصرخُ بي:
متىٰ ترحلْ ؟!

طوانا العمرُ يا سالمْ
ونحن نهزُّ في وجهِ الحياةِ
شَبَا مطامعِنا
ألسْتَ ترىٰ
بأنَّا نكره الدنيا
ونعشقُها
ونجهلُها ونعرفُها ؟!
وأنَّ دموعَنا تبكي علينا
حين نذرفُها؟!
هي الدنيا ..!
يظلُّ المرءُ يمشي في مناكبِها
ويركبُ ظهرَها .. يَنْسَىٰ
بأنَّ حِرَانَها المجنونَ
يكسرُ ظهرَ راكِبها
ويخطبُ ودَّها .. ينسىٰ
بأنَّ نِفَارَهايأبىٰ
عليها وُدَّ خاطِبها
هي الدنيا تسيرُ بنا

ونحن نظنُّ - من جهلٍ -
بأنَّا - حينما نسعَىٰ -
نسيرُ بها
طوانا العمر ياسالمْ
وجاء الليلُ
يطردُ ما تبقَّىٰ
من فلولِ نهارِ قريتِنا
وألْقىٰ جُبَّةً سوداءَ
فوقَ جبينِ فرحتِنا
وغلَّفَ صمتُهُ
أصداءَ ضحْكتِنا
ونامتْ قريةُ «العبَّاسِ»(*)
ما نامتْ..!
ولكنْ ذابتِ الكلماتُ
في فمِها
وسار الحزنُ في دمها !
بكتْ ..

(*) قرية الصديق سالم إحدىٰ قرىٰ منطقة الباحة.

وسماؤها غامتْ
هيَ العبَّاسُ يا سالمْ
تطرِّزُ في روابيها
بقايا ذكرياتٍ
من حكايا أمْسِكَ الحالمْ
وترسمُ في الثَّرىٰ الطاهرْ
وفي جدرانِ منزلِ أهلِكَ العامرْ
رسوماً من طفولتِكَ التي تَنْدَىٰ
بروعتها
هي العباسُ
يعزفها إليكَ الشوقُ
يحدوها
فترفع صوتَها تدعو
وندعو مثلما تدعو
لك الرحمن يا سالمْ
لك الرحمن يا سالمْ

الفهرس

القصيدة	الصفحة
شعر التفعيلة	٥
غبٌ ياهلال	٩
أنشودةُ القرية	١٤
صغيرتي «شذا»	٢١
جولةٌ في قلب الطفلة «عهود»	٢٩
ألا أيُّها الجبلُ الشَّهْمُ	٣٩
يا ساكنةَ القلب	٥٤
تساؤلاتُ طفلٍ كويتي	٦٠
عندما تُوغل الأشواق	٦٤
قراءةٌ في وجه لطيفة اليمنيَّة	٦٧
وجهُ ابتسامٍ.. وخارطةُ الألم	٧٨
لك الرَّحمن يا سالم	٨٦
فهرس	٩٧

العبيكان
Obeikan
Printing & Packaging